الدلالات السياقية لمفردة (أَحْسَن) التفضيل في القرآن الكريم

دكتور/ عبد الله بن حمود العماج
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

الملخص:
البحث دراسة في دلالة مفردة (أَحسَن) بصيغة أفعل التفضيل من خلال السياق القرآني الواردة فيه ، وأجاب البحث عن أسئلة أهمها: ما الدلالات السياقية لمفردة أحسن بصيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم؟ وهل كل سياقات (أحسن) بلفظ أفعل التفضيل تفيد المفاضلة أم لا؟ واشتمل البحث على أحد عشر مبحثًا، رتبت حسب الموضوعات التي وردت فيها مفردة أحسن، وتوصل البحث إلى نتائج أهمها: أنَّ الأصل في مفردة أحسن التفضيل في القرآن الكريم أنها على بابها في المفاضلة، واستثنى من هذا مواضع جاءت مسلوبة المفاضلة.

الكلمات المفتاحية: مفردة أحسن – التفضيل – السياق – المفاضلة.

The contextual indications of the term (AHSN) preference in the Holy Quran

Dr. Abdullah Hammoud Al-Amaj

* Assistant Professor, Department of the Qur'an and its Sciences, Department of the Qur'an and its Sciences, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

Summary:

The research is a contextual semantic study in which the researcher traces the verses in which the word "AHSN" is mentioned in the Holy Qur'an in the form of the most effective form of preference. Because the intent of this research is to show the connotations of the contexts for the term better in the form of the preferred verbs only, and the research answered the most important questions, what are the contextual indications of the term better in the form of the verbs of preference in the Holy Qur'an? And are all contexts better with the verb of preference, benefiting the participation of two things in an adjective, with the addition of one of them? Over the other, as is apparent from the original meaning of preference or not? The research included eleven chapters arranged by the researcher according to the topics in which the term "AHSN" was mentioned. In other words, he came to deny preference and preference between contradictory ones, i.e., between good and bad, in many places.

Keywords: better term - preference - context - significance.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليلـه صـلى الله عليـه وعلى آله وصحبه، والتابعين له بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنَّ مفردات القرآن لها دلالتها المؤثرة؛ إذ تحُمل المفردة الواحـدة علـى معـانٍ متعددة تتنوع بحسب السياق الواردة فيه، وبتنوعها تتنوع دلالة المفردة.

قال ابن عطية رحمه الله: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب فـي أن يوجد أحسن منها لم يوجد"(١).

والعلاقة وطيدة بين السياق والمفردة، فالسياق مؤثر في المفردة من جهة المعنـى، والمفردة ذات تأثير في السياق.

ومن هذه المفردات التي جاءت في سياقات مختلفة مفردة أحسَن على وزن أفعـل التي يراد بها المفاضلة بين أمرين تارة، وتارة تكون مسلوبة المفاضلة، عُبر بها لغـرض وحكمة.

وقد تكررت في مواضع عديدة في القرآن الكريم، وهي في كل هـذه المواضـع وثيقـة الصلة بسياقها

وجاءت هذه المفردة في سياقات متعددة ومقامات مختلفة، ترد فيها مفردة أحـسَن لكشف طريقة القرآن الكريم في الدلالة على أحسن الهـدى، وأحـسن الحُكـم، وأحـسن الأخلاق.

قال الراغب: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ، إن قيل: حكمه حسن لمن يوقن ولمن لا يوقن فلم خصّ؟ قيل: القصد إلـى ظهـور حـسنه والاطلاع عليه، وذلك يظهر لمن تزكّى واطلع على حكمة الله تعالى دون الجهلة.(٢)

والنفوس الزكية تسعى لتحصيل مقامات الحسن علمًا وقولًـا، واعتقـادًا، وعملًـا، وخلقًا.

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٥٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٥).

قال البيضاوي: "صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن، والتحضيض على الترقي دائماً في مراتب العلم"(١).

ولما كانت هذه المفردة بهذا الحال من التفاوت في الدلالة ؛ جاء هذا البحث لدراستها وكشف مدلولاتها من خلال السياقات القرآنية التي جاءت فيها بعنوان :
[الدلالات السياقية لمفردة (أَحْسَن) التفضيل في القرآن الكريم]

حدود البحث:

البحث دراسة دلالية سياقية تتبع فيها الآيات التي ورد فيها مفردة "أحسَن" في القرآن الكريم بصيغة أفعل التفضيل فقط.

أسئلة البحث:

١- ما الدلالات السياقية لمفردة أحسن بصيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم؟
٢- هل كل سياقات أحسن بلفظ أفعل التفضيل تفيد المفاضلة، كما هو الظاهر من المعنى الأصلي للتفضيل أم لا؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تنوع الدلالات السياقية لمفردة أحسن بصيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم مما يستدعي البحث في تلك الدلالات.
٢- لا يوجد فيما وقفت عليه دراسات عُنيت بمفردة "أحسَن" من جهة السياق والدلالة.

أهداف الموضوع:

١- دراسة مفردة أحسن بصيغة أفعل التفضيل دراسة سياقية دلالية.
٢- بيان وجه التفضيل الذي دلت عليه مفردة أحسن في كل المواضع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والنظر في المواقع المختلفة بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وفي قواعد البيانات المختلفة، والمكتبات العامة، تبين لي أنَّ هذا الموضوع لم يدرس من قبل.

أمَّا الدراسات السابقة فقد توجهت إلى دراسة موضوع الإحسان في القرآن، ومنها على سبيل المثال:

١- الإحسان في القران الكريم لجار النبي، سناء عبد الله محمد، وهو بحث منشور في: مجلة كلية أصول الدين، ع١٣- جامعة أم درمان الإسلامية – تاريخ: ٢٠١٥م

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٨).

٢- العدل والإحسان في القرآن الكريم: مناهج النظر والتصرف لنيفر أحميدة بحث منشور بمجلة التفاهم، س١٤، ع٥٢ - ٢٠١٦م.

٣- الإحسان في القرآن الكريم: دراسة موضوعية المؤلف:القيسي، عبده أحمد محمد رسالة ماجستير -جامعة مؤتة.

وهذه الدراسات عنيت بدراسة موضوع الإحسان من جهة كونه فضيلة، أو مرتبة من مراتب الدين دراسة وصفية أو موضوعية، ولم تعن بالدلالات السياقية لمفردة "أحسَن" بصيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم.

٤- الإحسان وألفاظه في القرآن الكريم: دراسة لغوية بلاغية المؤلف: السعدي أسيل نايف محمد: رسالة ماجستير الجامعة الهاشمية.

وهي معنية بدراسة ألفاظ الإحسان في القرآن الكريم: (الإحسان، والفضل، والبر، والإنعام، والمن).

وليس هذا مرادًا في بحثنا؛ حيث يقتصر على دراسة السياقات الدلالية لمفردة "أحسن" بصيغة أفضل التفضيل مع الكشف عن ماهية التفضيل، ونوعه.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وأحد عشر مبحثًا على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، والجديد الذي ستقدمه الدراسة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه:

أولًا:تعريف مادة (حسن) لغة واصطلاحًا.

ثانيًا:الدلالات السياقية لأفعال التفضيل إجمالًا.

المبحث الأول: مفردة أحسن في آيات الفطرة والدين والتوحيد.

المبحث الثاني: مفردة أحسن في آيات العاقبة والمآل.

المبحث الثالث: مفردة أحسن في آية الحكم.

المبحث الرابع: مفردة أحسن في آية التحية.

المبحث الخامس: مفردة أحسن في آية الإحسان إلى اليتيم.

المبحث السادس: مفردة أحسن في آية ألواح موسى عليه السلام.

المبحث السابع: مفردة أحسن في آيات العمل والثواب

المبحث الثامن: مفردة أحسن في آيات الأمر بالحسن من القول والجدل.

المبحث التاسع: مفردة أحسن في آياتأوصاف القرآن الكريم.

المبحث العاشر: مفردة أحسن في آيات الخلق.

المبحث الحادي عشر: مفردة أحسن في آيات المقام.

ثم الخاتمة وفيها: نتائج البحث وتوصياته.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي والاستقرائي، وذلك وفق ما يلي:

١- تتبع مفردة أحسن بصيغة أفعل التفضيل ودراستها دراسة دلالية سياقية.

٢- وتقتُ المصادر والمراجع في كل هذه الفقرات، أمَّا هدايات الآية فاستنبطتها بشكل مختصر.

٣- رتبت الآيات في الدراسة ترتيبًا موضوعيًا وجعلت الآيات التي وردت فيها مفردة أحسن التفضيل مطالب في المبحث الواحد.

٤- خرَّجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما نقلتُ كلام العلماء في الحكم عليه.

٥- توثيق النقل وعزوه إلى من نُقل عنه.

٦- لا أترجم للأعلام؛ لما تقتضيه طبيعة البحث من الاختصار.

٧- وضعت خاتمة تتضمن أهم النتائج التي يتوصل إليها من خلال البحث.

التمهيد وفيه:

أولًا: تعريف مفردة (أحسن): لغة واصطلاحا:

في اللغة: مفردة أحسن من مادة: (حسن) قال ابن فارس: "الحاء والسين والنون أصلٌ واحد. فالحُسن ضدُّ القبح. يقال رجلٌ حسن وامرَأة حسناءُ وحُسّانَةٌ.. وليس في الباب إلاّ هذا.. والمحاسنُ من الإنسان وغيره: ضدُّ المساوي"(١).

وأحسن بالألف على وزن أفعل التفضيل ترد على عدد من المعاني: الأفضل والأتقن(٢) وأَحْسَنَ كُلَّ شيءٍ خَلْقَه أَحْسَنَ يعني حَسَّنَ .(٣)

في الاصطلاح: فعل ما هو حسن، والحسن وصف مشتقّ من الحسن الّذي يراد به اصطلاحًا.

فيما يقول الجرجانيّ: "ما يكون متعلّق المدح في العاجل والثّواب في الآجل"(٤).

وذهب التّهانويّ إلى أنّ لفظ الحسن يطلق ويراد به- اصطلاحًا- واحد من أمور ثلاثة:

الأوّل: كون الشّيء ملائما للطّبع وضدّه القبح بمعنى كونه منافرا له.

الثّاني: كون الشّيء صفة كمال وضدّه القبح وهو كونه صفة نقصان وذلك مثل العلم والجهل.

الثّالث: كون الشّيء متعلّق المدح وضدّه القبح بمعنى كونه متعلّق الذّمّ"(٥).

ثانيًا: الدلالات السياقية لأسماء التفضيل إجمالًا.

التفضيل يدل -غالبًا- على أن شيئين قد اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة، ويكون في المدح والصفات الحسنة، مثل: أطيب، أمهر، أصدق. كأن يقال زيد أصدق من عمرو. ويقع في الصفات المذمومة، مثل: أقبح، أكره، أكذب. كأن يقال: عمرو أكذب من زيد(٦).

واسم التفضيل وضع ابتداءً للمفاضلة بين شيئين في معنى من المعاني، وبيان زيادة أحدهما فيه على الآخر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٥)، مادة: حسن.

(٢) انظر المعجم الوسيط (١/١٧٤)

(٣) لسان العرب (٢/٨٧٧)

(٤) التعريفات (ص: ٨٧)، مادة: حسن.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٦٦٦)، مادة حسن.

(٦) انظر: جامع الدروس العربية (١/ ١٩٣)، والكافية في علم النحو (ص: ٤٢)،والنحو الواضح (٢/ ٢٧٧).

والتفضيل ثلاثة أنواع[١]:

النوع الأول: التفضيل بين شيئين في صفتين متفقتين، ويفيد زيادة أحدهما فيه على الآخر، مثل قولك: العلم أنفع من المال، فكل من العلم والمال نافعان، لكن هذا الصفة تزيد في العلم.

النوع الثاني: التفضيل بين شيئين في صفتين مختلفتين، فيراد في هذه الحالة بيان أنَّ أحد الشيئين قد زاد في صفة نفسه على الآخر في صفته، مع اختلاف الوصف في كل منهما، مثل: الصيف أَحَرُّ من الشتاء، أي أنَّ الصيف زائد في حرِّه على الشتاء في برده.

ومثل قولك: الصدق أبر من الكذب، أي: أنَّ الصدق زائد في بره على الكذب في فجوره، فليست الصفة هنا صفة اتفاقية، بل مختلفة في كل من الشيئين.

قال ابن عطية: "ويظهر لي أنَّ هذه الألفاظ التي فيها عموم ما يتوجّه حكمها من جهات شتى، نحو قولك أحب وأحسن وخير وشر **يسوغ أن يجاء بها بين شيئين لا شركة بينهما**، فتقول السعد في الدنيا أحب إليّ من الشقاء إذ قد يوجد بوجه ما من يستحب الشقاء كالمتعبد والمغتاظ وكذلك في غيرها"[٢].

النوع الثالث: ألا يُراد باسم التفضيل المفاضلة، وإنَّما يراد به معنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] ، فأهون في الآية بمعنى: هَيِّن؛ لأنَّه ﷻ ليس لديه هين وأهون[٣].

قال الواحدي: "وأفعل يأتي في الكلام ولا يراد به التفضيل"[٤]. كقول الشاعر:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وإنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوحَدِ[٥]

وقال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ١١٧]: "والظاهر أن صيغة التفضيل التي هي: أعلم، في هذه الآيات يراد بها مطلق الوصف لا التفضيل ؛ لأن الله لا يشاركه أحد في علم ما يصير إليه خلقه من شقاوة وسعادة"[٦].

---

(١) انظر: جامع الدروس العربية (١/ ١٩٣)، والكافية في علم النحو (ص: ٤٢)،والنحو الواضح (٢/ ٢٧٧).

(٢) تفسير ابن عطية (٢٠٧/٤).

(٣) وقيل معناه: أهون مما تتصورون، قال الرازي رحمه الله-في التفسير الكبير (٢٦٥/٢٣)عند حديثه عن الآية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤]:"فوجب حمل هذه الآية على أنه أحسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم، كقوله تعالى: وهو أهون عليه [الروم: ٢٧] أي هو أهون عليه في اعتقادكم وظنكم".

(٤) التفسير البسيط (١٤/ ٣٥٩).

(٥) البيت لطرفة بن العبد، نسبه إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن(٢/ ٣٠١)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٧٨)، وابن عطية في تفسيره (٥/ ٤٩٢)، ولم أجده في ديوانه.

(٦) أضواء البيان (٤٦٥/٢).

ومفردة " أحسن " تنطبق عليها هذه الأحوال من جهة كونها ترد وتكون للمفاضلة بين شيئين متفقين في الحسن ويفضل أحدهما الآخر، وترد للمفاضلة بين شيئين مختلفين من جهة الصفة، وترد مسلوبة المفاضلة ويراد بها مطلق الحسن، والمبالغة في وصف الحسن.

المبحث الأول: مفردة أحسن في آيات الفطرة والدين والتوحيد

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ تقاربت أقوال المفسرين في المراد بالصبغة من السلف ومن بعدهم في بيان معنى الصبغة على أقوال أربعة:

الأول: الصبغة هي الدين فدين الإسلام هو الصبغة. ويدخل في هذا القول من قال أن الصبغة هي الإيمان أو الشريعة أو السمة التي تظهر على المتدين.

وسمي الدين صبغة؛ لظهور أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب(١)

الثاني: الصبغة هي الفطرة.

الثالث: الصبغة ما يصبغ به الإنسان من معتقدات أي يكتسبه ويتعلمه(٢)، وصبغة الله ما علمه الله خلقه من العقائد الصحيحة عن طريق رسله.

الرابع: صبغة الله أي: خلقة الله، قال الزجاج: "ويجوز أن يكون – واللَّه أعلم – صبغة الله أي خلقة اللَّه – جلَّ وعزَّ – الخلق، فيكون " المعنى: أنَّ اللَّه ابتدأ الخلق – على الإسلام، ويكون دليل هذا القول قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] (٣) .

وهذه الأقوال متقاربة في المعنى، فالفطرة هي الدين الحق دين الإسلام ، كما قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وكذلك ما يكتسبه الإنسان من معتقد فقد تصبغ به، فإن تصبغ بتوجيهات الوحي ازداد هدى، وتلك صبغة الله وهي الفطرة والهداية، وإن تصبغ الإنسان بغير هدى الله انحرف، كما في حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»(٤).

(١) انظر : تفسير البغوي: (١٥٧/١)

(٢) انظر: تفسير الرازي: ٧٥/٤، وابن عطية (٢١٦/١).

(٣) معاني القرآن للزجاج: (٢١٥/١).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢/ ١٠٠) رقم: ١٣٨٥، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) رقم: ٢٦٥٨.

والآية متعلقة بقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فتلك هي صبغة الإسلام الواردة في الآية[١].

قوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾، أي: موحدون مقرون بدينه وتوحيده، وفي الآية رد على النصارى الذين يغمسون صاحب ديانتهم ويصبغونه فيما يسمى بالتعميد، فبين تعالى أن صبغة التوحيد، ودين الإسلام لا أحسن منه[٢]، فهو طريق النجاة دون سواه، وهو المقبول دونما عداه، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾: الدلالة السياقة لمفردة (أحسن) هنا للمفاضلة، وليست المفاضلة بين شيئين أحدهما حسن والآخر أحسن، بل هو مقابلة بين الحسن وضده، كأن يقال الصدق أحسن من الكذب، ويستفاد منه النفي، أي: لا أحسن من الله صبغة.

قال أبو السعود: " والتقديرُ ومن صبغتُه أحسنُ من صبغته تعالى فالتفضيلُ جارٍ بين الصِّبغتين لابين فاعليهما أي لا صبغةَ أحسنُ من صبغته تعالى على معنى أنها أحسنُ من كل صبغة "[٣].

وقال السعدي "﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ أي: لا أحسن صبغة من صبغته، وإذا أردت أن تعرف نموذجًا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب..... فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله..... ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه "[٤].

(١) انظر: ابن عطية ٢١٦/١.
(٢) انظر: تفسير السمرقندي (١/ ٩٧)، والهداية، لمكي (١/ ٤٧١)، وتفسير الخازن (٨٦/١).
(٣) تفسير أبي السعود(١٦٨/١)، وانظر: تفسير أبي حيان (٦٥٦/١).
(٤) تفسير السعدي بتصرف (٦٨/١).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

معنى الآية: لا أحد أحسن دينًا، وأصوبُ طريقًا، وأهدى سبيلًا ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة، مصدقًا في ذلك نبيه محمدًا ﷺ فيما جاء به من عند ربه، عاملًا بما أمره به ربه، متبعًا الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن، مستقيمًا على توحيده ومنهاجه وسبيله، مائلًا عن الشرك وأهله(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقة لمفردة (أحسن) هي المفاضلة بين الحسن وضده، وهي واقعة بين دينين: أحدهما حق، وهو الدين القائم على الاستسلام بالتوحيد والإخلاص لله مع إحسان العمل واتباع ملة إبراهيم بالميل والبعد عن الشرك، وبين الدين القائم على النقيض من ذلك.

والتقدير: من دينه أحسن من دين مَنْ أسلم ...الخ ، والجواب: لا أحد أحسن ديناً منه .

قال أبو السعود: "وهذا إنكارٌ واستبعادٌ لأن يكون أحدٌ أحسنَ ديناً ممن فعل ذلك أو مساوياً له، وإن لم يكن سبكُ التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يُرشدُك إليه العُرفُ المطّردُ والاستعمالُ الفاشي فإنه إذا قيل مَنْ أكرم من فلان أو لا أفضلَ من فلان فالمرادُ به حتماً أنه أكرمُ من كل كريم وأفضل من كل فاضلٍ.. فالتفضيلُ في الحقيقة جارٍ بين الدينين لا بين صاحبيهما "(٢).

وقال ابن عاشور: "لما ذكر ثواب المؤمنين أعقبه بتفضيل دينهم. والاستفهام إنكاري"(٣). ومن لطائف المفاضلة التعريض بأديان المشركين والكافرين.

(١) انظر: الطبري (٢٥٠/٩)،وتفسير البغوي (٧٠٥/١)،وتفسير ابن عطية (١١٧/٢).
(٢) تفسير أبي السعود (٢٣٦/٢).
(٣) التحرير والتنوير (٥/ ٢١٠).

المبحث الثاني: مفردة أحسن في آيات العاقبة والمآل

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

معنى الآية: إن تنازعتم في شيء ردوه في الحكم إلى كتاب الله – عز وجل– وسنة رسولهﷺ، فهذا الرد إلى الله ورسوله ﷺ خير لكم في دينكم ودنياكم وأول أمركم وعاقبته ، فبه صلاح معادكم، وإصلاح دنياكم، وهو سبب للألفة وترك التنازع والفرقة(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

دل السياق على أن مفردة " أحسن " هنا تفيد المفاضلة بين الرد في التنازع إلى الله والرسول وبين الرد إلى غيرهما.

والتقدير: أن الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله عند التنازع أحمد عاقبة، أو أبيّن صواباً، وأظهر حقاً، وأحسن من تأويلكم الذي لا يرجع إلى أصل، ولا يفضي إلى حق (٢) .

قال الألوسي: "وأفعل التفضيل في الموضعين للإيذان بالكمال" (٣).

وهذا يبين فضل التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن في الرجوع إليهما سلامة ونجاة في الدنيا والآخرة.

بالمطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

هذه الآية من جملة آيات الوصايا في سورة الإسراء، فهي معطوفة على ما تقدمها.

وفيها الأمر للنَّاس بإتمام المكاييل والعدل في الموازين بالوزن السوي، مع الحذر من بخسهم ونقصهم عند كيلهم؛ فالوفاء خير من النقصان، وأحمد عاقبة ومآلًا لكم في الدنيا والآخرة، في الدنيا بصلاح حالكم، وإقامة العدل فيكم ونزول البركة، وفي الآخرة

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩٥/٨)،وتفسير ابن عطية (٧١/٢)، تفسير ابن الجوزي (٤٢٤/١).
(٢) تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣٣١/١)
(٣) تفسير روح المعاني للألوسي (٦٥/٣).

بما يعود عليكم من الأجر والثواب، والنجاة من التبعات، بخلاف النقص والتطفيف في الكيل فهو شر، وعاقبته وخيمة في الدنا والآخرة [١]

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية المفاضلة بين متضادين: هما: الوفاء في الوزن والبخس والنقص فيه.

والتقدير: الوفاء للناس إذا أردتم الكيل والوزن لهم خير لكم وأحسن عاقبة من البخس والتطفيف بنقص المكاييل والموازين.

ولطيفة المفاضلة هنا: أنَّ المطفف أو الجائر في الوزن يرى أنه حاز من حطام الدنيا ما يظن أن به ربحه وسعادته، وحقيقة الأمر على خلاف ذلك؛ فإنَّ العدل في الميزان والوفاء خير وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة، فهو جالب للبركة والثواب، والبخس والتطفيف مجلبة للتلف ومحق البركة.

قال ابن عاشور: "وخير تفضيل، أي خير من التطفيف، أي خير لكم. فضل على التطفيف تفضيلا لخير الآخرة الحاصل من ثواب الامتثال على خير الدنيا الحاصل من الاستفضال الذي يطفف المطفف، وهو أيضا أفضل منه في الدنيا لأن انشراح النفس الحاصل للمرء من الإنصاف في الحق أفضل من الارتباح الحاصل له باستفضال شيء من المال"[٢].

المبحث الثالث: مفردة أحسن في آية الحكم

قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: ٥٠].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

ينكر تعالى على اليهود، وعلى كل من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء المبنية على الهوى والجهل، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، والميل والجور والمداهنة، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، يبتغونها ويريدونها، وعن حكم الله يعدلون، ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء[٣].

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٤٥/١٧)،ومعاني القرآن للزجاج (٢٣٩/٣)،وتفسير البغوي (١٣٢/٣).
(٢) التحرير والتنوير (٩٩/١٥).
(٣) انظر تفسير الطبري (٣٩٤/١٠)، وتفسير ابن كثير (١٣١/٣)، والكشاف (٦٤١/١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

مفردة أحسن في هذه الآية الكريمة هي للمفاضلة بين متضادين، وليس بين حسن وأحسن، فهي للمفاضلة بين حكم الله تعالى العادل وبين حكم الجاهلية الظالم الجائر.

وأسلوب المفاضلة المقترن بالاستفهام هو للإنكار والتعجيب من حال من ابتغى حكم الجاهلية وأعرض عن حكم الله الذي هو أحسن حكمًا عند أهل العلم واليقين لا عند أهل الجهل والأهواء[1]؛ إذ حكمه مبني على العدل والقسط، والنور والهدى، وحكم الجاهلية مبني على الجهل والظلم والبغي.

المبحث الرابع: مفردة أحسن في آية التحية

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[النساء: ٨٦].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يأمر الله تعالى أهل الإسلام: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ﴾من مسلم فيحيوه تحية أحسن من تحيته أو مثلها. والتحية: هي دعاء الحياة، والمراد بالتحية ها هنا، السلام، إذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة. فادعوا لمن دعا لكم بذلك بأحسن مما دعا لكم "أو ردّوا التحية [2].

وذكر المفسرون في صفة "التحية" التي هي أحسن مما حُيِّيَ به المُحَيَّي، والتي هي مثلها. أقوالًا من أشهرها:

أن التي هي أحسن منها: أن يقول المسلَّم عليه إذا قيل: "السلام عليكم" "وعليكم السلام ورحمة الله"، فيزيد على دعاء الداعي له. والرد أن يقول: "وعليكم السلام " مثلها.

والأمر في قوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ يدل على الوجوب، قال الحسن البصري قال: السلام: تطوُّع، والرد فريضة"[3][4].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾، أي: شهيدًا على أعمالكم، حفيظًا وحاسبًا ومجازيًا عليها[5].

---

(١) انظر: فتح القدير (٥٦/٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (٥٨٦/٨)، وتفسير البغوي (٢٥٨/٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٨٦/٨)

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥٨٦/٨)،ومعاني القرآن للزجاج (٨٦/٢)،والكشف والبيان للثعلبي (٣٥٤/٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٩٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٨١٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٣٥٤).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية المفاضلة بين شيئين متفقين أحدهما حسن والآخر أحسن، فالحسن رد التحية بمثلها، والأحسن الزيادة بما ورد وثبت عن رسول الله ﷺ.

فالحسن أن يرد المسلم على من يحييه فيقول: "السلام عليكم"، أن يقول: "وعليكم السلام".

والأحسن أن يحيي بأحسن منها فيقول: " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته".

قال مجاهد بن جبر: "إذا سلم عليك أخوك المسلم فقال: السلام عليكم، فقل له: السلام عليكم ورحمة الله، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ يقول: "إذا لم تقل له: السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه كما قال: السلام عليكم كما سلم، ولا تقل وعليك" (١).

وقال الثعلبي: "زيدوا عليها كقول القائل: السلام عليكم فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله ونحوها"(٢).

المبحث الخامس: مفردة أحسن في آية الإحسان إلى اليتيم

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ﴾[الإسراء: ٣٤].

أولًا: معنى الآيات الكريمة:

ينهى الله تعالى عن الاقتراب من مال اليتيم اقترابًا ينافي حفظه، فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾ أي: اجعلوا بينكم وبينه مسافة من التقوى والمراقبة لله وترك الهوى والشهوات التي منها شهوة المال، وهذه المسافة فيها النظر والتبصر والتفكير العميق قبل الإقدام على تحريك مال اليتيم إلا بما يعود عليه بالإصلاح والنماء، إلا بأحسن وسيلة تعود بالحفظ والنماء على مال اليتيم.

(١) تفسير مجاهد بن جبر (٢٨٧/١).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٣٥٤/٣).

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، شدته بلوغه الحلم والرشد لقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ [النساء: ٦][1].

وأكدت الآيات الكريمة على حفظ المال في هذه الفترة الزمنية لأهمية حماية مال اليتيم فيها كونه لا يعقل مصالحه أما إذا بلغ أشده فسوف يدافع عن ماله وقد رشد.

وليس المقصود أن بعد بلوغه أشده جواز الخوض في ماله بغير التي هي أحسن، إنما الغاية التأكيد على فترة صغره وعدم رشده، "فليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن، لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة"[2].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآيات:

مفردة أحسن في هذه الآية الكريمة هي للمفاضلة بين متفقين من جهة، وبين متضادين من جهة أخرى.

أمَّا المفاضلة بين متفقين؛ فالمفاضلة بين حسن وأحسن، والمقصود أنَّه لو كان هناك ما يعود على مال اليتيم بالحسن، ووجد معه أحسن منه فيصار إلى ما هو أحسن، رعاية لمصلحة مال اليتيم كمثل أن يتاجر بمال اليتيم ويغلب على الظن أن يكسب مائة دينار إن تاجر به في الفضة، وإن تاجر به في الذهب عاد عليه بألف دينار، فيصار إلى التجارة الأحسن مع غلبة الظن، وفيه تحضيض على السعي في أحسن ما يصلح مال اليتيم.

قال أبو حيان الأندلسي: "بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم ولم يأت إلا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاة لمال اليتيم وأنه لا يكفي فيه الحالة الحسنة، بل الخصلة الحسنى وأموال الناس ممنوع من قربانها، ونص على اليتيم ؛ لأن الطمع فيه أكثر لضعفه وقلة مراعاته"[3].

وقد تكون المفاضلة بين ما يصلح مال اليتيم بالمحافظ عليه وعدم قربانه إلا بما هو الأنفع له، وبين ما يفسد مال اليتيم من إفساده أو إهماله.

وكل ذلك مراد في مفردة أحسن في هذه الآيات الكريمة.

قال السمين الحلبي: "وأتى بصيغة التفضيل تنبيهاً على أنه يَتَحَرَّى في ذلك، ويَفْعل الأحسنَ ولا يَكْتفي بالحسن"[4].

(١) انظر: زاد المسير(٢/٩٢)،وتفسير القرطبي (٧/١٣٤)،وتفسير البيضاوي (٢/١٨٩).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/١٣٤).
(٣) البحر المحيط (٤/٦٨٨).
(٤) الدر المصون (٥/٢٢٠).

المبحث السادس: مفردة أحسن في آية ألواح موسى عليه السلام

قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يبين الله تعالى أنه كتب في ألواح التوراة التي أرسل بها موسى عليه السلام ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ مما يحتاجون إليه في دينهم، ﴿فَخُذْهَا﴾ يا موسى بجد واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، أي: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآيات:

يمكن أن يقال إن مفردة (أحسن) في هذه الآية يراد بها التفضيل على وجه كما ذكره غير واحد من المفسرين، وعلى وجه آخر تكون مسلوبة المفاضلة على وجه آخر كما قرره بعضهم، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

تكون للتفضيل بين حسن وأحسن منه، وذكروا معاني للتفضيل منها:

- أنَّ التفضيل واقع بين الأمرٌ والنهيٌ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله، ويتركوا ما نهاهم عنه، فالعمل بالمأمور به، أحسنُ من العمل بالمنهي عنه"(٢).

قال السعدي في بين الأخذ بالأحسن " وهي الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله – في كل شريعة – كاملة عادلة حسنة(٣).

- أن التفضيل واقع بين المباحات والمندوبات، فإذا اعترض فيها مباحان أو مباح ومندوب، فمأمورون بأخذ الأحسن منهما، الذي هو أكثر ثوابًا كالعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار"(٤).

والوجه الآخر: أن مفردة " أحسن " هنا أنها مسلوبة المفاضلة؛ ومقصود بها المبالغة في وصف الحسن فيها مطلقًا.

والمعنى: وأمر قومك يأخذوا بما فيها لحسنها، وليس بين ما فيها من الشرائع تفاضل بين أحسن ودون الأحسن، بل كلها مرتبة واحدة، والتفاضل بينها مفصل فيها، كل

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠٩/١٣)، وتفسير ابن جزي (١/ ٣٠١)، وتفسير الجلالين (ص: ٢١٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٩/١٣).
(٣) تفسير السعدي (٣٠٢/١)
(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٤٥٢/٢).

عمل بحسبه. وهذه الآية نظير قوله تعالى: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم في سورة الزمر[1].

وقال قطرب: "يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها أي بحسنها وكلّها حسن، كقوله ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] "[2].

المبحث السابع: مفردة أحسن في آيات العمل والثواب

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٦ – ٩٧].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

ما عندكم من أمر الدنيا يفنى، وما عند الله من ثواب وجنة باق ودائم لأهلها لا يفنى ولا ينتهي، وليثيبنّ الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في – السّراء والضرّاء –، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملُون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرنّ الله لهم سيئها بفضله[3].

ثم أكد تعالى لعباده أن العمل الصالح يصلح لهم الدنيا والآخرة وأنَّ هذا الفلاح للذكر والأنثى فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وذكر تعالى في الآية الأولى الصبر وفي الآية الثانية العمل، لأن الفلاح لا يكون إلا بصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

اختلف المفسرون في دلالة مفردة أحسن التفضيل في الآية على أقوال:

القول الأول: أنها للتفضيل بين شيئين حسن وأحسن، فقالوا أنَّها تفاضل بين المباح وبين الواجب والمستحب، فيجزيهم الله على الواجب والمستحب فذلك الأحسن، ولا جزاء على المباح فلا أجر فيه.

(١) انظر: التحرير والتنوير(٩٧/٩)، وتفسير الألوسي (٥٦/٥).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ص١٩٧، والواحدي في الوسيط (٢/)٢٤٠، والبغوي في معالم التنزيل (٣/)٢٨١، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٥٩)، والرازي في التفسير الكبير (١٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٨٩/١٧)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٢٩٠)، وتفسير البغوي (٥/ ٤١).

قال الرازي –في تفسير الآية–: "المؤمن قد يأتي بالمباحات وبالمندوبات وبالواجبات ولا شك أنه على فعل المندوبات والواجبات يثاب لا على فعل المباحات، فلهذا قال: ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"(١).

وقال النيسابوري: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي: بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات؛ فإنه لا ثواب على فعلها ولا عقاب"(٢).

القول الثاني: أن أحسن في الآية ليست على وجهة التفاضل، بل المراد بها المبالغة في كرم الجزاء وعظمه، وإلا فالله تعالى يجازيهم على الحسن والأحسن من أعمالهم.

وفي صيغة المفاضلة في مفردة أحسن لطيفة هي كرم الله في الجزاء ومضاعفته للحسنات، وهو احتمال آخر رآه النيسابوري بعد ذكره للقول الأول الذي تقدم، حيث ذكر احتمالًا آخر، فقال: "أو نجزيهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم كقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] "(٣).قال ابن عاشور: "صيغة تفضيل مستعملة للمبالغة في الحسن"(٤).

والظاهر: أن القول الثاني أرجح؛ لأن الجزاء على الأعمال يقع في الحسن والأحسن، كما أن من المباحات ما إن تقترن بنية صالحة حتى تصير حسنة، كمن نوى بنومه أن يتقوى على العبادة.

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يبين تعالى أن الرجال الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، أنَّه ﷻ وهو الكريم واسع الفضل، سيجزيهم أحسن ما عملوا، أي: سيجزيهم أحسن ما وعدهم من الثواب عليها، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، ما لم يستحقوه بأعمالهم، بل بفضل الله وعطاء منه ﷻ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ومن هذا الرزق الجزاء والمضاعفة والدرجات والرفعة(٥).

(١) تفسير الرازي (٢٠/ ٢٦٧).
(٢) تفسير النيسابوري (٤/ ٣٠٣).
(٣) تفسير النيسابوري (٤/ ٣٠٣).
(٤) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٧٢).
(٥) انظر: تفسير البغوي (٥١/٦)، وتفسير ابن كثير (٦٩/٦).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآيات:

ذكر بعض المفسرين أن التفضيل بين المباح والواجب والمستحب، وأن الله تعالى يجزيهم بالواجب والمستحب كمثل الخلاف في المطلب السابق.

قال الشنقيطي: "وقد قدمنا قول بعض أهل العلم: أن قوله تعالى: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ونحوها من الآيات يدل على أن المباح حسن؛ لأن قوله: «أحسن ما عملوا» صيغة تفضيل، وصيغة التفضيل المذكورة تدل على أن من أعمالهم حسنا لم يجزوه وهو المباح قَالَ فِي مَرَاقِي السُّعُودِ"[1]:

مَا رَبُّنَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَسَنٌ وَغَيْرُهُ الْقَبِيحُ وَالْمُسْتَهْجَنُ[2]

والراجح أنَّ مفردة أحسن في الآية بمعنى المبالغة في الجزاء والإحسان، ولطيفة التفضيل فيها المفاضلة بين الحسن والأحسن في الثواب، فيخبر الله تعالى أنَّه يثيبهم بأحسن ما وعدهم.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧].

وقوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥].

أولًا: معنى الآيات الكريمة:

يخبر تعالى أن الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات[3]، وسيجزيهم أحسن ما وعدهم من الثواب. وفي آية سورة الزمر يعدهم أن يكفر عنهم أسوء ما عملوا وهي الكبائر، خصها بالذكر؛ لأنها أكثر ما يخاف العبد تبعاته [4].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآيات:

ذكر بعض المفسرين أن التفضيل بين المباح والواجب والمستحب، وأن الله تعالى يجزيهم بالواجب والمستحب كمثل الخلاف في المطلب السابق.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٥٤٩).
(٢) انظر النظم في: نشر البنود على مراقي السعود (١/ ٦٦).
(٣) انظر: تفسير السعدي (٦٢٦/١).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩٢/٢١).

قال السعدي: "﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، وغيرها"(١).

وقال ابن عاشور: "وانتصب أحسن على أنه وصف لمصدر محذوف هو مفعول مطلق من فعل لنجزينهم. والتقدير: ولنجزينهم جزاء أحسن. وإضافته إلى الذي كانوا يعملون لإفادة عظم الجزاء كله فهو مقدر بأحسن أعمالهم. وتقدير الكلام: لنجزينهم عن جميع صالحاتهم جزاء أحسن صالحاتهم"(٢).

والراجح أنَّ مفردة أحسن في الآية بمعنى المبالغة في الجزاء والإحسان، ولطيفة التفضيل فيها المفاضلة بين الحسن والأحسن في الثواب، فيخبر الله تعالى أنَّه يثيبهم بأحسن ما وعدهم.

المطلب الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يقول تعالى: ولا ينفق المجاهدون في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: قليلا ولا كثيرا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾، أي: في السير إلى الأعداء ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ من الأجر والثواب أحسنه وأعظمه(٣).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

هذه الآية تدل على أن سياق مفردة أحسن في آيات العمل تدل على التفضيل بين الحسن والأحسن، والأحسن ما وعدهم ﷻ من مضاعفة الحسنات وزيادتها. فالآية تدل على الأجر والثواب. وهو الراجح كما يدل عليه السياق.

ومع ذلك فإن بعض المفسرين ذهب إلى أنَّ المفاضلة بين الحسن والأحسن، والحسن المباح والأحسن الواجب والمستحب، وهذا مرجوح.

ذكر الرازي والخازن في تفسيرهما الوجهين:

"**الأول:** أن الأحسن من صفة فعلهم، وفيها الواجب والمندوب والمباح والله تعالى يجزيهم على الأحسن، وهو الواجب والمندوب، دون المباح.

(١) انظر: تفسير السعدي (٦٢٦/١).
(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢١٢).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٦٨/٢٣)، وتفسير ابن كثير (٢٣٤/٤).

والثاني: أن الأحسن صفة للجزاء، أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل، وهو الثواب"[1].

والراجح الوجه الثاني كما سبق تقريره في المطلب الأول من هذا المبحث.

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]..

أولًا: معنى الآية الكريمة:

ورد قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، بلفظ الخطاب والغيبة، في ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وجملة معاني هذه الآيات أنَّ الله تعالى خلق السماوات وخلق الأرض وزينتها وخلق الموت والحياة لغاية الابتلاء، تبين من يعمل العمل الحسن والأحسن، ومن يميل عن الحسن ويعمل القبيح فيجازي الله تعالى كلا بعمله[2].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآيات تفضيل بين أمرين، على ضربين:

الأول: تفضيل بين الحسن والأحسن، فهذا تفضيل بين المتفقين.

فمن الأعمال الصالحة ما هو حسن ومنها هو أحسن كمن تصدق جهارًا فهذا حسن، لكن من أخفاها وأعطاها الفقراء فهذا الأحسن ولكل في موضعه أجره وثوابه، كما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال ابن عاشور: "وأحسن تفضيل، أي أحسن عملا من غيره، فالأعمال الحسنة متفاوتة في الحسن إلى أدناها"[3].

(١) انظر: تفسير الرازي (١٦/ ١٧٠)، وتفسير الخازن (٢/ ٤٢٠).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٨)، وتفسير أبي السعود (٥/ ٢٠٥)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ١٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٥).

الثاني: تفضيل بين الحسن والقبيح فهو تفضيل بين النقيضين، ويعني؛ أن من الناس من عمله حسن، ومنهم من عمله قبيح.

قال البيضاوي: "صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن، والتحضيض على الترقي دائماً في مراتب العلم والعمل فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح"(١).

وقال أبو السعود: "وإيرادُ صيغةِ التفضيلِ معَ أن الابتلاء شاملٌ للفريقين باعتبارِ أعمالِهم المنقسمةِ إلى الحسنِ والقبيحِ أيضاً لا إلى الحسنِ والأحسَن فقطْ للإشعار بأن الغاية الأصلية للجعل المذكور إنما هو ظهورُ كمالِ إحسانِ المحسنين"(٢).

المطلب السادس: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

بعد أن ذكر الله جل وعلا خصال الصالحين وأنهم إذا بلغوا الأربعين دعوه وشكروا نعمته ودعوا لأنفسهم ولوالديهم ولذرياتهم، وابتدروا التوبة ذكر الله عز وجل أن من هذه خصالهم، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال، فيجازيهم به، ويثيبهم عليه ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ في جملة من يُتجاوز عنهم، وهم أصحاب الجنة(٣).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية على بابه هنا، وأن المقصود أن الله يتقبل منهم أحسن ما عملوا وهو الواجب والمستحب دون المباح فالمباح حسن ولا ثواب عليه.

قال البغوي: " ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ يعني: أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، و"الأحسن" بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها"(٤).

قال الشوكاني: "﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ من أعمال الخير في الدنيا، والمراد بالأحسن الحسن، كقوله: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم، وقيل: إن اسم التفضيل على

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٨).
(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ٢٠٥).
(٣) تفسير الطبري (١١٥/٢٢)، وزاد المسير (٤/ ١٠٨).
(٤) تفسير البغوي (٢٥٨/٧).

معناه، ويراد به ما يثاب العبد عليه من الأعمال، لا ما لا يثاب عليه كالمباح فإنه حسن وليس بأحسن"[١].

المبحث الثامن: مفردة أحسن في آيات الأمر بالحسن من القول والجدل

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ لإنهَّم إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنَّ الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة[٢].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية، على بابها في التفضيل من جهتين:

الأولى: تفضيل بين الحسن والأحسن، فهذا تفضيل بين المتفقين. أي: يقولوا التي هي أحسن من الكلمات، فإن كان هناك كلمة حسنة وأخرى أحسن، صار إلى الأحسن.

قال ابن عاشور: "واسم التفضيل مستعمل في قوة الحسن. ونظيره قوله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥] ، أي: بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن، فإنَّ المجادلة لا تكون بكلمة واحدة"[٣].

الثانية: تفضيل بين النقيضين: الحسن والقبيح فهو تفضيل بين النقيضين بين الحسن وضده، والمعنى: قل لعبادي يقولوا الكلام الحسن ويتركوا الكلام القبيح، فالحسن من الكلام أفضل من القبيح؛ لأن القبيح من نزغ الشيطان. ومما يشهد لهذا الوجه الثاني سبب النزول؛ فإن الآية «نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ وذلك أنَّ رجلًا من العرب شتمه، فأمره الله تعالى بالعفو»[٤].

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦٦/٧)، وتفسير ابن كثير (٨٦/٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٣١/١٥).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٨)، بدون إسناد.

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾، أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى﴾ عبادة الله وتوحيده وشرعه ودينه، وهو في نفسه مستقيم على ذلك صادع به، ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. وهذه الآية تعم كل من دعا قديمًا وحديثًا إلى الله تعالى وإلى طاعته من الأنبياء والمؤمنين(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

مفردة أحسن في هذه الآية على بابها في التفضيل وهي تفضيل بين النقيضين: الحسن والقبيح فهو تفضيل بين النقيضين أي بين الحسن وضده وهو القبيح، ويعني، من يدعو إلى الله مستقيمًا ذلك فقوله أحسن ممن يدعو إلى غيره ويصرف الناس عن سبيله، فهنا لا يشترك أطراف التفضيل في الحسن، ولكن كمن يقول الصدق أحسن من الكذب. وليس في الكذب حسن.

قال ابن عاشور: "وذكر هذا الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمة المشركين ووعيدهم على سوء قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: ٢٦]، مشعر لا محالة بأن بين الفريقين بونا بعيدا، طرفاه: الأحسن المصرح به، والأسوأ المفهوم بالمقابلة، أي: فلا يستوي الذين قالوا أحسن القول وعملوا أصلح العمل مع الذين قالوا أسوأ القول وعملوا أسوأ العمل، ولهذا عقب بقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]"(٢).

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] :

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ والخطاب له ولأمته (ٱدْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ) أي: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام (بِٱلْحِكْمَةِ) بالوحي الذي وضع الأمور في مواضعها (وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ) أي: وادعهم بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه (وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦٨/٢١)، وتفسير ابن عطية (١٥/٥)، والتحرير والتنوير (٢٨٧/٢٤).
(٢) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٨٧).

أَحْسَنُ﴾ أي: أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف، والله تعالى أعلم بالمهتدي من الضال في الداعي والمدعو[1].

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية الكريمة تحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أنَّ مفردة أحسن للتفضيل على بابها، فيُقدّر المفضل عليه بما دلت عليه القَرينة، ولذلك أكثر من تقدير:

التقدير الأول: التفضيل بين الحسن والأحسن من الأساليب والكلمات الحسنة فاختر منها الأحسن في الجدل والخصومة. فهنا يشترك أطراف التفضيل في الحسن.

التقدير الثاني: التفضيل في حال المدعوين في الجدال فليس الجدال مع المشرك كالجدال مع الكتابي.

التقدير الثالث: التفضيل بين جدلكم وجدلهم فيكون جدلكم أحسن من جدلهم أسلوبا وحجة وكلامًا. ذكر الثاني والثالث ابن عاشور[2].

الاحتمال الثاني: أن مفردة أحسن في الآية مسلوبة المفاضلة، لقصد المبالغة في الحسن، أي إلا بالمجادلة الحسنى.

ولا مانع أني يكون التفضيل على بابه، والتقديرات لهذا التفضيل كلها محتملة وغير ممتنعة.

قال ابن عاشور: "تقديره: لا تجادلوهم بجدال إلا بجدال بالتي هي أحسن. وأحسن اسم تفضيل يجوز أن يكون على بابه فيقدر المفضل عليه مما دلت عليه القرينة، أي بأحسن من مجادلتكم المشركين، أو بأحسن من مجادلتهم إياكم كما تدل عليه صيغة المفاعلة. ويجوز كون اسم التفضيل مسلوب المفاضلة لقصد المبالغة في الحسن، أي إلا بالمجادلة الحسنى كقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن في آخر سورة النحل"[3].

المطلب الرابع ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]:

أولًا: معنى الآية الكريمة:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ من الكلام الجميل واختاروا فيه أحسن الكلمات والحجج والبراهين والأساليب،

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٢١/١٧)، والبحر المحيط (٦١٢/٦).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢١/ ٦).

وبما هو أحسن من جدلهم أسلوبًا وحجة وبرهانًا، وهذا فيمن يغلب على الظن أنه ينفع فيه الجدل والمحاجة أما ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾، وهم الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجادلهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية الكريمة تحتمل نفس الاحتمالين مع التقدير المذكور في المطلب السابق بما يغني عن إعادته هنا.

المبحث التاسع: مفردة أحسن في أوصاف القرآن الكريم

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] .

أولًا: معنى الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ﴾ ضمير جمع التعظيم للواحد الأحد ﷻ ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ يا محمد، أصدق القصص وأحقها وأكملها بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾، أي: كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئًا منه(٢).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية تحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أنها على بابها في التفضيل وهو تفضيل بين الحسن والأحسن، فهو تفضيل بين المتفقين في صفة الحسن. أي: إن وجد من القصص ما حسن لصدقه وعدله وغير ذلك من صفات الحسن، فإن قصص القرآن أحسن منها وأكمل عدلًا، وصدقًا، وعبرة، وهداية.

الاحتمال الثاني: أنَّ التفضيل في الآية ليس على بابه، بل يراد به المبالغة في الحسن، أي: القصص الحسن، الذي لا يضاهيه غيره حسنًا، وصدقًا ، وعدلًا، وعبرةً، وهدايةً.

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦/٢٠)، والتحرير والتنوير (٢١/ ٦)، وأضواء البيان (٤٦٥/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٥١/١٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٨٧/٣).

قال السمين الحلبي: "«أحسن» يجوز أن تكون أفعل تفضيل على بابها، وأن تكون لمجرد الوصف بالحسن، وتكون من باب إضافة الصفة لموصوفها، أي: القصص الحسن"(١).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] .

أولًا: معنى الآية الكريمة:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ يعني به القرآن ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يشبه بعضه بعضًا في البلاغة والحكمة والحق، فلا اختلاف فيه، ولا تضادّ. ﴿مَّثَانِيَ﴾ مردّد، رُدِّد ثنى الله فيه القصص، والأحكام والشرائع، هذا الكتاب تقشعر منه جلود المتقين وتلين وتخضع لاشتماله على ذكر الله، وذلك هدى من الله يهدي به من شاء من عباده ويضل من يشاء ﷻ(٢).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية تحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أنَّها على بابها في التفضيل وهو تفضيل بين الحسن والأحسن، فهو تفضيل بين المتفقين في صفة الحسن. أي: إن وجد من الحديث ما حسن لصدقه وعدله وغير ذلك من صفات الحسن، فإن القرآن أحسن منه وأكمل عدلًا، وصدقًا، وعبرة، وهداية.

الاحتمال الثاني: أنَّ التفضيل في الآية ليس على بابه، بل يراد به المبالغة في الحسن، أي: الحديث الحسن، الذي لا يضاهيه غيره حسنًا، وصدقًا ، وعدلًا، وعبرةً، وهدايةً(٣)، رجح الأول السمين الحلبي والشربيني(٤).

قال أبو حيان: "أحسن الحديث معرفة لإضافته إلى معرفة. وأفعل التفضيل، إذا أضيف إلى معرفة، فيه خلاف"(٥).

---

(١) الدر المصون (٦/ ٤٣٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/٢٧٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/٣٥١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/١٠٩).

(٣) يعود الخلاف في ذلك إلى اختلاف العلماء في أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة هل هو إضافة محضة أم أضافة غير محضة

ومعنى المحضة أي: الخالصة:

الإضافة المحضة: وهي الإضافة الحقيقية؛ إذ يترتب عليها تعريف الاسم أو تخصيصه، مثل : كتاب محمد، فالكتاب مضاف إلى محمد على وجه الحقيقة.

الإضافة غير المحضة: هي الإضافة غير الحقيقية؛ إذ لا يترتب عليها ما يترتب على الإضافة الحقيقية، من تعريف الاسم أو تخصيصه، مثل : كاتب الدرس. فالكاتب ليس مضافًا إلى الدرس على وجه الحقيقة. انظر: الأصول في النحو (٢/ ٥)، والبديع في علم العربية (١/ ٢٨٣).

(٤) انظر: الدر المصون (٩/ ٤٢٢)، والسراج المنير للشربيني (٣/ ٤٤٢).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٩٥).

وقال السمين الحلبي: " وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة فيه خلاف. فقيل: إضافته محضة. وقيل: غير محضة.. والصحيح أن إضافة أفعل محضة"(١).

وقال الشربيني: "وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة فيه خلاف فقيل: إضافته محضة وقيل: غير محضة والصحيح الأول"(٢).

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]

أولًا: معنى الآية الكريمة:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ مما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: إلا نزل جبريل من الله بجوابهم فيعلو كلام الله وتبطل أمثالهم(٣).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية:

التفضيل في الآية يحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أن التفضيل ليس على بابه؛ إذ لا يأتون بمثل يعارضون به الحق، إلا أنزل الله على نبيه قرآنا جامعًا في معانيه ووضوحه وتمامه وألفاظه؛ إذ لَا يوجد بيان أعلى منه ولا أجمل ولا أوضح.

قال ابن عاشور: "ومعنى كونه أحسن، أنه أحق في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة إذ ليس في حجتهم حسن""(٤).

الاحتمال الثاني: أن التفضيل على بابه في التفضيل، وفيه تصوير ما يأتون به من بهرج يظهر على غير حقيقته فيظنه الظان حسناً، وليس كذلك.

قال ابن عاشور: "أو يراد بالحسن ما يبدو من بهرجة سفسطتهم وشبههم فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعًا في نفوس السامعين من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته، فهذه نكتة من دقائق الاستعمال ودقائق التنزيل"(٥).

والاحتمال الأول أولى.

(١) الدر المصون (٩/ ٤٢٢).
(٢) السراج المنير (٣/ ٤٤٢).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩)، وتفسير النيسابوري (٥/ ٢٣٧).
(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣).

المبحث العاشر: مفردة أحسن في آيات الخلق

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ :

ورد قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ في موضعين في القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٢. قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥ – ١٢٦].

أولًا: معنى الآيات الكريمة:

في الآية الأولى: بين تعالى بجمع التعظيم أنه ﷻ: خلق الإنسان فصير النطفة التي جعلها في قرار مكين مخلقةً علقة، وهي القطعة من الدم، ثم صيره مضغة، وهي القطعة من اللحم، فخلق المضغة من اللحم عظامًا، فكسونا تلك العظام لحمًا.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ﴾ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقًا آخر، فصورناه ونفخنا فيه الروح، ودبت فيه الحياة فصار سويًا حيًّا عاقلًا.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، أي: فتبارك الله أحسن الصانعين(١).

أمَّا الآية الثانية: فجاءت على لسان إلياس عليه السلام وهو ينكر على قومه الشرك فيقول: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، أي: أتعبدون من دون الله صنمكم بَعْلًا، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده وهو المنفرد بالخلق والتدبير(٢).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآيات:

أثرت صيغة التفضيل في الآيات الكريمة على بعض المفسرين، فصار لهم في ذلك قولان:

القول الأول: أنَّ التفضيل ليس على بابه، أي أن خلقه ﷻ للخلق غاية ما يكون في الحسن والكمال، ولا خالق سواه ﷻ.

القول الثاني: أنَّها على بابها في التفضيل، مع تأويلهم للخلق في الآية؛ لأنَّ الإجماع على أنَّه لا خالق (بمعنى الإيجاد) إلا الله. وأولوا الخلق في الآيات:

- إما بالتصوير والصنع، وهو تصوير الأشياء وصنعها.
- أو بالتقدير وذلك يوصف به المخلوقون.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٩)، وتفسير الثعلبي (٧/ ٤٢)، والهداية لمكي بن أبي طالب (٧/ ٤٩٥١).
(٢) تفسير ابن عطية (٤٨٤/٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٥٥٢/٣٠)، وتفسير أبي السعود (٢٥٥/٨).

قال أبو حيان: "ومعنى الخالقين المقدرين وهو وصف يطلق على غير الله تعالى"(١).

قال الشنقيطي: "أحسن الخالقين أي: المقدرين والعرب تطلق الخلق وتريد التقدير، ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري"(٢)

والقول الأول أظهر؛ لأنَّ أفعل التفضيل لا تفيد التفضيل دائمًا؛ بل قد يراد بها المبالغة في المعنى، وكمال الاتصاف بالصفة، وصفة الخلق اختص الله بها، وهذا من ذاك.

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] :

أولًا: معنى الآية الكريمة:

الآية جواب للقسم الذي تصدر سورة التين، وفيها يمتن الله تعالى على الإنسان حيث خلقه في أحسن تقويم يعني: أعدل قامة وأحسن صورة(٣).

ومن هذا التفضيل في الخلق أنَّ الله تعالى، "خلق كلّ شيء منكبًا على وجهه، إلا الإنسان"(٤).

ومنه أنَّ الله تعالى ميز الإنسان في خلقته بالعقل والفهم وإدراك الخير وتمييزه من الشر(٥). "وإن غلبت شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله فكان ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]"(٦).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

دلالة مفردة أحسن في هذه الآية على بابها في التفضيل وهي تفضيل بين متفقين حسن وأحسن؛ فخلق المخلوقات حسن خلقة وحكمة، ولكن خلق الإنسان أحسن منها، من حيث أصل الخلقة واعتدال القوام وجمال الوجه، ومن حيث ما زينه الله جل وعلا بالعقل والفهم والتمييز بين الضار والنافع، الخير والشر.

قال البقاعي: "تفضيل الآدمي بتزيينه بصفوة أوصاف الكائنات وجعل سبحانه أعضاء متصرفة بكل ما يتصرف به أعضاء سائر الحيوان مع زيادات اختص بها

(١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٥٢).
(٢) أضواء البيان (٥/ ٣٢٥).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٠٦/٢٤)، وتفسير البغوي (٨/ ٤٧٢)، والتفسير المظهري (١٠/ ٢٩٨).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٠٨)، من قول ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) انظر: نظم الدرر (٢٢/ ١٣٨).
(٦) المرجع السابق (٨/ ١٧٤).

الآدمي إلى حسن الوجه وجمال الجوارح، فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو، وبالنسبة إلى الأفراد في نفس الأمر وإن كان بعضها أحسن من بعض"(١).

المبحث الحادي عشر: مفردة أحسن في آيات المقام

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

أولًا: معنى الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ على الناس آيات الله الواضحات التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ ﴿بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، بالله وبكتابه، وآياته، وهم قريش، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فصدّقوا به، وهم أصحاب محمد ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾ في موضع إقامته، وهي مساكنهم ومنازلهم ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم ندوا: إذا جمعتهم في مجلس(٢).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية على بابها في التفضيل، وهي على لسان المشركين يتفاخرون بأنفسهم ويفضلون حالهم على حال المؤمنين.

ويجوز أن تكون تفضيل بين حسن وأحسن فيعنون بذلك أن حالهم ومنازلهم مساكنهم والماديات التي عندهم أفضل من حال المؤمنين ومساكنهم.

وتحتمل أيضًا يريدوا بها أن لا أحسن من حالهم فتكون تفضيلًا بين النقيضين، فيقولون حالنا أحسن ومساكننا ومنازلنا أحسن وأفضل من مساكنكم السيئة. ذهب إلى هذا الرازي(٣)، وابن عادل في اللباب(٤).

وكلاهما جائز وغير ممتنع وهو ما عليه حال المشركين.

قال الرازي: "﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ إذ لا خير في غيره"(٥).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ مريم: ٧٤

أولًا: معنى الآية الكريمة:

جاءت هذه الآية المباركة ردًا على تفاخر المشركين بمساكنهم وتفضيلهم لأنفسهم على المؤمنين بما عندهم من ماديات فبين الله تعالى أن الهلاك قد وقع على قرون كانوا أحسن منهم وأفضل ﴿أَثَٰثًا﴾، أي: أكثر متاعًا وأحسن منزلةً ومستقرًا، ﴿وَرِءْيًا﴾ أي:

(١) نظم الدرر (٢٠/ ١٠٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣٨/١٨)، وتفسير الوجيز للواحدي (٦٨٧/١)، وتفسير ابن عطية (٢٨/٤).
(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٨/ ٨٦).
(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٥٠٧).
(٥) تفسير الرازي (٢٨/ ٨٦).

كانوا أفضل منهم مناظرًا وأشكالًا، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم وأشكالهم، بأن عذبهم فزال كل ما بهم من تلك النعم الدنيوية(١).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية على بابها في التفضيل، ردًا على تفاخر المشركين بأنفسهم وتفضيلهم حالهم على حال المؤمنين.

والتفضيل هنا بين حسن وأحسن أي: هم أحسن من حالكم الحسنة التي تصفون.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]

أولًا: معنى الآية الكريمة:

يخبر تعالى وخبره الحق أنَّ أهل الجنة يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾، وهو الموضع الذي يستقرّون فيه من منازلهم في الجنة فهو خير من مستقرّ هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، "أي: مَأْوًى وَمَنْزِلًا"(٢)، وهو المكان الذي يستريحون فيه في مثل وقت القيلولة للاسترواح بأزواجهم، والتمتع بما يكون في الخلوات(٣).

ثانيًا: الدلالة السياقية لمفردة أحسن في الآية:

الدلالة السياقية لمفردة أحسن في هذه الآية على بابها في التفضيل وتقدر بتقديرين كلاهما غير ممتنع:

الأول: تفضيل بين الحسن والأحسن، فهو تفضيل بين المتفقين في صفة الحسن. أي: مستقر أهل الجنة ومقيلهم أحسن حالًا من محاسن الدنيا وأموالها ودورها ومساكنها التي كان يتمتع بها المشركون سكنًا ومقيلًا وراحةً.

الثانية: تفضيل بين النقيضين: أي: بين الحسن وضده وهو القبيح، ويعني: أنَّ مستقر أهل الجنَّة ومقيلهم وعاقبة أمرهم أحسن حالًا بالفوز والفلاح برضا الله والجنَّة أفضل من سيء حال المشركين، وقد آل أمرهم إلى بوار

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤١)، وتفسير ابن كثير(٥/ ٢٥٧)، وتفسير أبي السعود (٥/ ٢٧٧).
(٢) قاله قتادة ابن دعامة السدوسي، أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٨١)، رقم: ١٥٠٨٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٥٨/١٩)، وتفسير الثعلبي (١٢٩/٧)، ونظم الدرر (١٣/ ٣٧٢).

وخسروا خسراناً مبيناً. كما يقال في التفضيل: أهل الجنَّة أحسن من أهل النَّار. وبهذا قال الزجاج[1].

قال الزجاج: "يقع التفضيل فيما دخل في صنف واحد؟ فالجنَّة والنَّار قد دخلا في باب المنازل في صنف واحد.. كما قال الله ﷻ: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾"[2].

وقال ابن جزي: "جاء هنا التفضيل بين الجنّة والنَّار، لأن هذا مستقرّ وهذا مستقرّ"[3].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٠).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٠).
(٣) تفسير ابن جزي (٢/ ٨١).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد:

توصل البحث في نهايته إلى النتائج التالية:

١- أنَّ لفظ الحسن يطلق ويراد به- اصطلاحًا- كون الشّيء ملائما للطّبع، وضدّه القبح بمعنى كونه منافرًا له. وكون الشّيء صفة كمال وضدّه القبح وهو كونه صفة نقصان وذلك مثل العلم والجهل. وكون الشّيء متعلّق المدح وضدّه القبح بمعنى كونه متعلّق الذّمّ.

٢- أنَّ الأصل في مفردة أحسن بصيغة التفضيل في القرآن الكريم أنها على بابها في التفضيل، لكن السياق استثنى من هذه الأصل في مواضع كثيرة.

٣- أنَّ مفردة أحسن في القرآن الكريم تدل على ثلاثة معاني بحسب السياق:

الأول: التفضيل بين شيئين في صفتين متفقتين، ويفيد زيادة أحدهما في الحسن على الآخر كالتفضيل في قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.

الثاني: التفضيل بين شيئين في صفتين مختلفتين، فيراد في هذه الحالة بيان أنَّ أحد الشيئين قد زاد في صفة نفسه على الآخر في صفته، مع اختلاف الوصف في كل منهما. كالتفضيل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

الثالث: ألا يراد بها التفضيل فيكون التفضيل فيها مسلوبًا؛ حيث تدل على صفة مشبهة أو اسم فاعل يراد بها الدلالة على المبالغة في الكمال في الحسن. كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٤- أن السياق معتبر في تعيين المعنى ولا يجوز بناء على ذلك اجتزاء أحسن التفضيل من سياقها؛ لأن السياق مبين لدلالتها موضح لمراد الله عز وجل منها.

التوصيات:

١- حث الباحثين بدراسة صيغ المفاضلة في القرآن الكريم، لما فيها من المعاني واللطائف ما يفتح آفاقًا في البحث العلمي.

٢- حث الباحثين إلى مزيد من البحوث والدراسات المرتبطة بالسياق القرآني المتصل بصيغ التفضيل في القرآن الكريم مع إبراز هدايات ودلالات المفردات القرآنية.

المصادر والمراجع:

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٢- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٣- تفسير ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٤- تفسير ابن المنذر: كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، تحقيق: د. سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

٥- تفسير ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى: – ١٤١٦هـ.

٦- تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد، بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٧- تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٨- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٩- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠- تفسير أبي حيان: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١١- التَّفْسِيرُ البَسِيْط: علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيقه في (١٥رسالة)، دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

١٢- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣- تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٤- تفسير الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) المحقق: محمد معوض، وعادل عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٥- تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى: ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.

١٦- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى.

١٧- تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى: - ١٤١٥هـ.

١٨- تفسير السمرقندي: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٩- تفسير السمعاني: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٠- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٢١- تفسير الفاتحة والبقرة : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٢- تفسير القاسمي: محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة الأولى: - ١٤١٨هـ.

٢٣- تفسير القرآن العزيز: محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، المحقق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٢٥- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٦- التفسير الكبير: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٢٧- تفسير الماوردي: النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٨- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ) تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٩- تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: - ١٤١٦هـ.

٣٠- تفسير الواحدي: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، د. أحمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٣١- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٣٢- تفسير مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٤- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر – بيروت.

٣٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٣٧- صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٣٩- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

٤٠- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية : نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

٤١- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.

٤٢- كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ) تحقيق: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

٤٣- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٤٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٤٥- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التتاري بلدا (ت: ١٣١٦هـ) المحقق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٧هـ.

٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٤٧- معاني القرآن للأخفش: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٤٨- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٤٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٠- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة الأولى: – ١٤١٢هـ.

٥١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.